

Distr.: General
3 September 2004
Arabic
Original:

الجمعية العامة



الدورة التاسعة والخمسون

البند ١٠٥ (أ) من جدول الأعمال المؤقت*

القضاء على العنصرية والتمييز العنصري:

القضاء على العنصرية والتمييز العنصري

مكافحة العنصرية والتمييز العنصري وكراهية الأجانب وما يتصل بذلك من
تعصب والتنفيذ والمتابعة الشاملان لإعلان وبرنامج دوربان

مذكرة من الأمين العام**

يتشرف الأمين العام بأن يحيل إلى أعضاء الجمعية العامة الدراسة المتعلقة بمسألة
البرامج السياسية التي تدعو إلى التمييز العنصري أو تحض عليه والتي قدمها وفقاً لقرار الجمعية
العامة ١٥٩/٥٨ المقرر الخاص التابع للجنة حقوق الإنسان ، دودو دين، المعني بالأشكال
المعاصرة للعنصرية والتمييز العنصري وكراهية الأجانب وما يتصل بذلك من تعصب.

* A/59/150.

** قدمت هذه الوثيقة بعد الموعد المحدد لها بغية تضمينها آخر المستجدات.

موجز

تقدم هذه الدراسة عملاً بالفقرة ١٤ من قرار الجمعية العامة ١٥٩/٥٨ الذي دعت فيه الجمعية المقرر الخاص التابع للجنة حقوق الإنسان المعني بالأشكال المعاصرة للعنصرية والتمييز العنصري وكراهية الأجانب وما يتصل بذلك من تعصب إلى أن يقدم إليها الدراسة المتعلقة بمسألة البرامج السياسية التي تدعو إلى التمييز العنصري أو تحرض عليه، وفقاً لطلب اللجنة في قرارها ٤١/٢٠٠٣، وذلك بعد استكمالها وتوسيع نطاقها حسب الاقتضاء؛

وتستعرض الدراسة الأحزاب السياسية والمنظمات الأخرى التي تحض على التمييز والتمييز العنصري وكراهية الأجانب وما يتصل بذلك من تعصب في أنحاء العالم كافة. ويسلط المقرر الخاص الضوء في هذه الدراسة على ثلاثة معطيات رئيسية، فهو يبدأ أولاً بتبيان الدور الرئيسي الذي تؤديه المنظمات والأحزاب السياسية في جميع مناطق العالم في تصاعد حدة العنصرية والتمييز العنصري وكراهية الأجانب. ومن ثم يشدد على الدور الهام الذي أدته الجبهة الفكرية في هذا الصدد، أي المؤلفات والمنشورات التي صدرت بعد الحادي عشر من أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ التي، من جهة، تشرع ثقافة العنصرية والتمييز العنصري وتروجها، ومن جهة أخرى، تبرز مفاهيم من مثل صراع الحضارات تؤدي بطبيعتها وعبر الثقافة إلى زيادة حدة التوتر الإثني والعنقي.

وأخيراً يؤكد المقرر الخاص على الدور الرئيسي للأحزاب والمنظمات السياسية اليمينية المتطرفة التي لا تتوقف آثارها الضارة على وضع البرامج التي تحث على كراهية الأجانب فحسب، بل إنها تشمل أيضاً قدرتها على التأثير لأسباب انتخابية في الأحزاب السياسية الديمقراطية التقليدية، لا سيما تحت غطاء ثلاثة مواضيع وهي: الأفضلية للقومية، وعدم لم شمل العائلات، وقراءة التنوع الثقافي قراءة تحمل بذور العداء والشقاق. وفي النهاية، يرفع المقرر الخاص إلى الجمعية العامة توصيات تأخذ النقاط الآتية الذكر في الاعتبار.

المحتويات

الفقرات الصفحة

٤	٣-١		أولا - مقدمة
٤	٥٥-٤		ثانيا - السياقات والخصائص الإقليمية
٤	٢٩-٤		ألف - أوروبا
١٤	٣٢-٣٠		باء - آسيا
١٤	٣٥-٣٣		جيم - أفريقيا
١٦	٣٩-٣٦		دال - أمريكا الجنوبية
١٧	٤٣-٤٠		هاء - الشرق الأوسط
١٩	٥٥-٤٤		واو - أمريكا الشمالية
٢٢	٦٢-٥٦		ثالثا - التوصيات
٢٢	٥٦		ألف - الاعتراف والوعي
٢٣	٥٧		باء - منع البرامج والأقوال العنصرية والمعادية للأجانب
٢٣	٥٩-٥٨		جيم - استحداث مؤسسات وإجراءات للمتابعة وإعداد التقارير وتوثيق المعلومات ومعالجتها
٢٤	٦١-٦٠		دال - وضع استراتيجية فكرية وأخلاقية لمكافحة العنصرية والتمييز العنصري وكره الأجانب وما يتصل بذلك من تعصب
٢٥	٦٢		هاء - رفع الأحزاب السياسية الديمقراطية مستوى اليقظة بحيث لا يتحول الخطاب اليميني المتطرف القائم على العنصرية وكره الأجانب إلى أمر عادي

أولا - مقدمة

١ - تُقدم هذه الدراسة عملاً بالفقرة ١٤ من قرار الجمعية العامة ١٥٩/٥٨ الذي طلبت فيه الجمعية من المقرر الخاص المعني بالأشكال المعاصرة للعنصرية والتمييز العنصري وكرهية الأجانب وما يتصل بذلك من تعصب أن يقدم إليها في دورتها التاسعة والخمسين الدراسة المتعلقة بمسألة البرامج السياسية التي تدعو إلى التمييز العنصري أو تحرض عليه، وفقاً لطلب لجنة حقوق الإنسان في قرارها ٤١/٢٠٠٣، وذلك بعد استكمالها وتوسيع نطاقها حسب الاقتضاء.

٢ - ويتعين قراءة الدراسة والنظر فيها في سياق تنفيذ إعلان وبرنامج عمل ديربان (A/CONF.189/12 و Corr.1) اللذين أعرب فيهما المجتمع الدولي عن قلقه من أنه "علاوة على أن العنصرية ما برحت تتزايد، فإن الأشكال والمظاهر المعاصرة للعنصرية وكرهية الأجانب تسعى جاهدة إلى استعادة الاعتراف بها سياسياً وأخلاقياً بل وقانونياً أيضاً بكثير من الطرق، بما في ذلك برامج بعض الأحزاب والمنظمات السياسية، وإلى العمل، عن طريق تكنولوجيات الاتصال الحديثة، على نشر الأفكار القائمة على مفهوم التفوق العرقي" (الفقرة ٢٧ من الإعلان). إلى ذلك، أكد المجتمع الدولي "الدور الرئيسي الذي يمكن وينبغي أن يؤديه الزعماء السياسيون والأحزاب السياسية في مكافحة العنصرية والتمييز العنصري وكرهية الأجانب وما يتصل بذلك من تعصب"، وشجع "الأحزاب السياسية على اتخاذ خطوات ملموسة في سبيل تعزيز التضامن والتسامح والاحترام" (الفقرة ٨٣ من الإعلان).

٣ - ويتألف التقرير من جزأين رئيسيين مسبقين. بمقدمة. وتضع هذه المقدمة الدراسة في سياق متابعة المؤتمر العالمي لمكافحة العنصرية والتمييز العنصري وكرهية الأجانب وما يتصل بذلك من تعصب. ويرمي الجزء الأول إلى تقصي مظاهر العنصرية والاعتداد بالعرق وكرهية الأجانب في أفريقيا وأمريكا الشمالية والشرق الأوسط وآسيا وأوروبا. بينما يتضمن الفصل الثاني عدداً من التوصيات المستمدة من هذا التحليل.

ثانياً - السياقات والخصائص الإقليمية

ألف - أوروبا

٤ - بدأت النظريات العنصرية ترى النور في أوروبا أثناء الفترة التي تعود إلى الحضارتين الإغريقية والرومانية القديمة اللتين سادت في العصور المتوسطة، إذ أن العلماء لجأوا إلى وضع نظريات عنصرية، الديني منها والعلمي، لتبرير الأنظمة القائمة على القمع والاستغلال. ورافقت توسع أوروبا سياسياً واقتصادياً منذ القرن السابع عشر صياغة نظريات عنصرية ضد

الشعوب غير الأوروبية. وقامت هذه النظريات، تحت غطاء "نشر الحضارة" بإضفاء صبغة شرعية على الهيمنة الإمبريالية وبتبريرها، لا سيما في أشكالها التاريخية القاسية من مثل الرق عبر المحيط الأطلسي والنظام الاستعماري. وفي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر "عمد كبار رجال الدين إلى تعديل رواية التوراة عن لعنة بني كنعان وتصوير أسطورة حام على أنها أصل الانحطاط الجماعي وترويجها عرفاً على أنها حكمة الله في أن يكون الرق جزءاً أجيال من السود الأفارقة"^(١). أما في الأوساط العلمانية، فقد أتى البعض من رواد العلوم المشاهير مثل بوفون في فرنسا ووايت في إنكلترا بحجج علمية تؤيد فرضية تراتبية الأعراق. وعليه، قامت القوى السياسية وأوساط المفكرين والعلماء على السواء باستغلال هذه العقيدة العرقية في تلك الحقبة استغلالاً واسع النطاق لتبرير تنظيم البنى الاجتماعية على أساس التفريق والهيمنة والاستبعاد.

١ - العنصرية وكرهية الأجانب والبرامج السياسية المتطرفة في عصرنا

٥ - يتعين تحليل ما تشهده أوروبا والغرب اليوم من انبعاث للحركات العنصرية والمعادية للأجانب في إطار التحولات الاقتصادية الاجتماعية الراهنة، بخاصة استغلال السياسيين لمسألة الهجرة. فالأحزاب السياسية المتطرفة تغذي وتستغل العنصرية وكرهية الأجانب كوسيلة لتحقيق أهدافها السياسية. ولا ينبغي الاستخفاف بمدى تأثيرها، إذ أن العديد من الدراسات أظهرت أن الكراهية والاستقطاب العرقي والإثني والثقافي، حينما تُرجما إلى برامج سياسية، أديا دوراً فاصلاً في تأجيج العنف والتراعات الإقليمية والعالمية التي هزت أوروبا أثناء القرن الذي انقضى للتو. ويؤدي تبرير أعمال العنف والإبادة الجماعية إلى تكرارها، والتزعان في يوغوسلافيا السابقة ورواندا مثلاً على ذلك.

٦ - وفي حين أن العامل الديني كان في الحقبة ما قبل الصناعية هو سبب الحروب، على غرار الحروب الصليبية، فإن العنصرية وكرهية الأجانب ونظريات التفوق العرقي تمثل في حقبة ما بعد الثورة الصناعية أسباب الحروب وعمليات الإبادة الجماعية التي تحدث داخل حدود الدول - الأمم وخارجها^(٢). وإن مشاعر الكراهية هذه ليست إلا مواد خام يستند إليها لهندسة التراعات^(٣)، وذلك عبر وسائل فكرية وإيديولوجية. وعلى سبيل المثال، قيل إن حروب البلقان هي وليدة صحوة للأحقاد القديمة برزت بفعل انتعاش الديمقراطية عقب انهيار الشيوعية. غير أن هذه القراءة معتورة إذ إنها تغفل دور الأيديولوجيين الرئيسيين في التلاعب بالخطاب السياسي لإذكاء القومية العرقية بغية تمكين قواعد نفوذهم.

٧ - وكذلك الأمر، قيل إن عودة الأحزاب اليمينية المتطرفة في أوروبا الغربية إنما هي نتاج الأزمة الاقتصادية أو تدفق المهاجرين غير الغربيين السريع إلى مجتمعات أوروبا الغربية

التي بقيت إلى ذلك الحين "متجانسة". ولو اعتبرنا أن التغير الاقتصادي أو الديمغرافي هو العامل الوحيد لهذه العودة، لكننا نخفف من أثر الدور العام الذي تلعبه البنى الفكرية والإيديولوجية، لا سيما الخطاب السياسي، في التلاعب بالأحداث أو في توجيه طريقة تأويل بعض الظواهر. زد على ذلك أن التحولات الهائلة التي شهدتها هذه المجتمعات على المستوى الديمغرافي أو في مجالات العمل أدت إلى خلق بيئة ملائمة لعمليات التلاعب السياسي. وإن من أحدث الأثر في هذه البيئة التي تتواجه فيها المساواة والعدل من جهة والتفريق والكرهية من جهة أخرى، هو لربما الوزن والقدرة على التنظيم والتأثير، خاصة على المستوى الإعلامي، والعزم الذي أبداه معسكر المدافعين عن كل فرضية من الفرضيات. وعلى هذا الأساس، فإن الانزلاق إلى عالم العنصرية وكرهية الأجانب لم يأت نتيجة للتحولات البنيوية بقدر ما نجم عما صح فيه قول: "فتر العزم في نفوس الكرام واثقت الضيم في نفوس اللئام"^(٤). وشكلت مشاعر العنصرية وكرهية الأجانب وكرهية "الآخر" دوما أرضا خصبة، خاصة في غالبية البنى ذات الهوية الواحدة، لإلهاب المشاعر في سبيل تحقيق أغراض سياسية.

٨ - ويكاد يكون من الثابت بشكل عام أن العنصرية والتمييز العنصري وكرهية الأجانب ومعاداة السامية والرهابة من الإسلام ظواهر لا تنفك تنتشر في أوروبا. وما برحت الفريسة المعتادة لهذه الآفات هي نفسها، فهم اليهود والعرب والآسيويون والأفارقة، لكن التمييز بدأ يتجسد أيضا في صور جديدة إذ أنه غدا يطال المهاجرين واللاجئين ومن لا ينتمون إلى قومية البلد. حتى أن هذه التزعة اشتدت في أعقاب أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ المأسوية. وبالفعل، فإن البيئة الإيديولوجية الجديدة التي تتخذ من مكافحة الإرهاب عنوانا لها، تنحو إلى اعتبار هؤلاء السكان والمجموعات "إرهابيين بالفطرة"، وهذا مصطلح ولده المقرر الخاص ليصف المفهوم المنحرف الذي يترع حاليا، عبر وسائط الإعلام والأوساط الأكاديمية، إلى اعتبار مجموعات سكانية وحتى ثقافات وأديانا معينة "مصدر خطر". وفي هذا السياق، لا يمثل انبعاث العنصرية وكرهية الأجانب تهديدا للسكان الأكثر استهدافا فحسب، بل يمثل أيضا في نهاية المطاف ضربة قاضية للديمقراطية وتجسيدا لآلية الصراع بين الحضارات.

٢ - إيديولوجيات العنصرية وكرهية الأجانب ودعاؤها

٩ - كما ذكر آنفاً، فإن أعمال العنف والتمييز والاستبعاد التي تشهدها دول مختلفة لا تحدث عرضاً، بل هي من تخطيط وتوجيه وتدبير أفراد ومجموعات سياسية متطرفة وحركات تستخدم شتى الوسائل التنظيمية. وتعطي بعض الأمثلة الواردة أدناه فكرة عن

مدى انتشار المنظمات التي تبجل العنصرية وكراهية الأجانب في أوروبا وعن مدى اتساع نطاق الحملات الدعائية التي تقوم بها.

١٠ - تشكل الجبهة الوطنية التي يتزعمها جان ماري لوبين الحزب العنصري المعادي للأجانب الرئيسي في فرنسا. وقد حصل هذا الأخير في انتخابات عام ٢٠٠٢ الرئاسية الأخيرة على ما نسبته ١٧ في المائة من الأصوات، فجاء في المرتبة الثانية على المستوى الوطني بتغلبه على رئيس الوزراء حينها ليونيل جوسبان. وأدى بقاء جان ماري لوبين في الدورة الثانية من الاقتراع ليواجه الرئيس جاك شيراك إلى حدوث سلسلة من الصدمات هزت البلاد. وكان أحد الأهداف الرئيسية للجبهة الوطنية، التي تقوم على برامج الكراهية والاستبعاد، هو منح المواطنين الفرنسيين والأوروبيين الأفضلية من حيث تقلد الوظائف والحصول على مسكن، متعهدا بطرد جميع المهاجرين غير الشرعيين على الفور. كما أنه تعهد بوضع حد لهجرة الأزواج وأفراد الأسرة الآخرين الذين تربطهم أواصر القرى بأجانب يقيمون في فرنسا وبإلغاء الحصول تلقائيا على الجنسية الفرنسية. وعليه، فإن برنامجه السياسي يتمحور حول ثلاثة مفاهيم مركزية يتضمنها خطاب كراهية الأجانب وهي: قراءة التنوع الثقافي قراءة تحمل بذور العداء والشقاق، والأفضلية للقومية، ورفض لم شمل العائلات.

١١ - وفي عام ١٩٩٩، ترك برونو ميغري، الذي كان الرجل الثاني في الجبهة الوطنية بعد جان ماري - لوبين، الجبهة وشكل حزبا جديدا وهو الحركة الوطنية الجمهورية التي تبني برنامجا عنصريا ومعاديا للأجانب حتى أكثر شراسة. وتتخذ مجموعات غير برلمانية أخرى أيضاً (*Unité radicale* و *Union de defense des étudiants nationalistes* و *Oeuvre française*) مواقف علنية معادية للسامية وعنصرية. وتشكل هذه المجموعات، مجتمعة، تهديدا للقيم الديمقراطية التي يقوم عليها المجتمع الفرنسي والمجتمع الدولي برمته. وأوضحت اللجنة الوطنية الاستشارية المعنية بحقوق الإنسان أن اليمين المتطرف كان وراء نحو ثلث الأعمال المعادية للسامية التي تم التوصل إلى الكشف عن هوية مرتكبيها^(٥). ويشكل الثقل الانتخابي لليمين الفرنسي المتطرف مؤشرا يدعو إلى القلق إذ أنه يدل على رسوخ الثقافة العنصرية والمعادية للأجانب في المجتمع الفرنسي.

١٢ - أما في ألمانيا، فإن الأحزاب القائمة على كراهية الأجانب ومعاداة السامية الثلاثة الرئيسية هي اتحاد الشعب الألماني الذي يتزعمه الناشر المليونير غيرهارت فراي، والحزب الديمقراطي الوطني الألماني، وحزب الجمهوريين. ويشير التقرير الأخير الذي أصدره المكتب الاتحادي لحماية الدستور^(٦) إلى أن عدد المنظمة والمجموعة اليمينية المتطرفة بلغ في نهاية عام ٢٠٠٣ ما مجموعه ١٦٩ منظمة ومجموعة (مقارنة بما مجموعه ١٤٦ في عام ٢٠٠٢). وهي

تضم زهاء ٤١ ٥٠٠ شخص (مقارنة بـ ٤٥ ٠٠٠ شخص في عام ٢٠٠٢؛ ما يشكل أول انخفاض منذ تسع سنوات) معظمهم من حليقي الرؤوس (skinheads) اليمينيين المتطرفين. غير أن عدد النازيين الجدد قد ارتفع ارتفاعاً حاداً، إذ ارتفع من ٢ ٦٠٠ شخص في عام ٢٠٠٢ ليصبح ٣ ٠٠٠ شخص في عام ٢٠٠٣، ما يمثل زيادة نسبتها ١٥ في المائة. وينطبق هذا الأمر على المجموعات النازية الجديدة، إذ ارتفع عددها من ٧٢ منظمة في عام ٢٠٠٢ إلى ٩٥ منظمة في عام ٢٠٠٣.

١٣ - وتفيد إحصاءات المكتب الجنائي الفدرالي أن اليمين المتطرف ارتكب ١٠ ٧٩٢ جريمة في عام ٢٠٠٣ مقارنة بمجموعه ١٠ ٩٠٢ جريمة في عام ٢٠٠٢، ما يمثل انخفاضاً بنسبة ١ في المائة. غير أن الحالة ما برحت تدعو إلى القلق الشديد. ولمواجهة هذا الوضع الخطير السائد في ألمانيا، أطلقت وزارة الداخلية في عام ٢٠٠٠ برنامج عمل واسع النطاق للتحرك والتعبئة يستهدف أكثر ما يستهدف الشباب، يشتمل على "تحالف يدافع عن الديمقراطية والتسامح ويناهض التطرف والعنف"، وتوفير رقم هاتفي يطلب مجانا لشجب كل عمل متطرف، وإصدار مجلات وكتيبات إعلامية وتنظيم معارض ونشر ألعاب إلكترونية تربية^(٧). كما أن وزارة شؤون الأسرة والمسنين والمرأة والشباب أطلقت في عام ٢٠٠١ برنامجاً مثيلاً دعت إليه "الشباب مع التسامح والديمقراطية، ضد التطرف اليميني وكرهية الأجانب ومعاداة السامية"^(٨). وترتدي هذه المبادرات التربوية كل الأهمية لأنه اتضح أن نجاح حليقي الرؤوس اليمينيين المتطرفين يعود بمعظمه إلى وجود ثقافة من الموسيقى والرسوم المتحركة وألعاب الفيديو الشائعة في أوساط الشباب تروج نظريات عنصرية وتمجد العنف ضد الأقليات. وقام العديد من ولايات الاتحاد أيضاً باعتماد هذه المبادرات^(٩). وأوصت المفوضية الأوروبية لمناهضة العنصرية والتعصب التابعة لمجلس أوروبا بتعزيزها^(١٠).

١٤ - وعلى غرار ما تفعله الأحزاب اليمينية المتطرفة في بلدان أخرى، فإن الأحزاب اليمينية المتطرفة الألمانية تزيد من استخدام الإنترنت لنشر رسائل تنم عن مشاعر العنصرية وكرهية الأجانب ومعاداة السامية. واتخذت السلطات الألمانية مبادرات لدفع مزودي مواقع الإنترنت على الشعور بالمسؤولية. واعتمدت إحدى هذه المبادرات في ولاية ريناني دو نور ويستفالي (Rhenanie-du-Nord-Westphalie) حيث يتحمل مزودو خدمات الإنترنت مسؤولية ما تتضمنه المواقع من محتويات غير قانونية. ويبدو أن هذه التدابير أدت إلى نتائج مثمرة: إذ أن مزودي المواقع على الإنترنت عمدوا في معظم الحالات إلى حذف المحتويات التي تنم عن مشاعر العنصرية وكرهية الأجانب ومعاداة السامية، وفي حالات أخرى، رُفعت شكاوى بحق بعضهم أمام المحاكم. ويمكن أن تشكل هذه التجربة على الصعيد الإقليمي نقطة تنطلق منها مبادرات أخرى على الصعيد الوطني.

١٥ - وتواجه المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وأيرلندا الشمالية أيضا مشاكل جسيمة تتصل بالعنصرية والاعتداد بالعرق وكرهية الأجانب. ويشكل الحزب الوطني البريطاني أقوى التجمعات السياسية المتطرفة، إذ أن النتائج التي حققها في انتخابات عام ٢٠٠٣ المحلية كانت أفضل ما حققه أي حزب آخر من الأحزاب المتطرفة منذ السبعينات. ويمكن أن يعزى هذا الأمر إلى تغيير الاستراتيجية الذي بدأ ينادي به منذ عام ١٩٩٩ الزعيم الجديد للحزب، نيك غريفين، الذي شاء إضفاء شيء من الهيبة على الحزب، فلجأ إلى استخدام لغة أكثر ليونة وإن حافظ على السياسة نفسها التي تنم عن مشاعر العنصرية وكرهية الأجانب.

١٦ - وتبدأ خطط هذا الحزب التكتيكية والاستراتيجية بتنظيم المهرجانات انتهاء بالمشاركة في الانتخابات، مروراً بتوزيع المنشورات وحشد التجمعات إلى استخدام الإنترنت، مع التسلل إلى صفوف جمعيات الشباب والمنظمات المحلية. وإن حملات العنف والترهيب التي يقوم بها تستهدف الأقليات والمهاجرين الجدد، خاصة المسلمون وطالبو اللجوء. ويفيد التقرير الذي أصدره برنامج رصد الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي عن "حالة المسلمين في المملكة المتحدة" أن الحزب قد أفرغ كل مشاعر عنصريته على المسلمين بوجه التحديد واستغل أحداث ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ لتشديد اعتدائه العنصرية عنفا.

١٧ - وفي عام ٢٠٠٤، شكّل حزب عنصري جديد وهو November 9th Society. وهو إذ يجاهر بأنه حزب نازي بريطاني، يتبنى نظريات هتلر وتفوق العرق الآري كدعائم لبرنامج السياسي. وهو يرمي إلى طرد جميع المهاجرين غير الآريين من البلاد وتجريدهم من الجنسية البريطانية وتجريم المثلية الجنسية والشيوعية^(١١). كما أن العنصرية وكرهية الأجانب هما شعارا برامج بعض المجموعات غير البرلمانية الأخرى من مثل Blood Honour الذي يقيم علاقات مع جمعية Loyalist Ulster Defence Association و Combat 18 الوثيقة الصلة بعصابات حليقي الرؤوس اليمينيين المتطرفين، و International Third Position، وهو تجمع ديني تقليدي يميني متطرف، و National Revolutionary Faction، وهو فصيل مناصر لإنشاء بنية لا رئيس لها تتضمن خلايا تؤمن بسيادة البيض، إضافة إلى عدد آخر من المجموعات الصغيرة التي تضم متطرفين قوميين ومدافعين عن سيادة البيض.

١٨ - وإن تأثير هذه الحركات المتطرفة الخطير، شأن تأثير مثيلاتها في الدول الأخرى الآنفة الذكر، لا يقتصر على قيامها بتعبئة شرائح واسعة من المجتمع فحسب، بل يتخطى ذلك إذ أنها تشكل شبكات لتنتشر أفكارها وتدعو إلى العنف خارج الحدود الوطنية، في أوروبا برمتها وأستراليا والأمريكتين والشرق الأوسط^(١٢). وإن ما يجري في المملكة المتحدة هو شاهد على تطورين خطيرين شهدتهما الخطاب الذي ينم عن مشاعر كراهية الأجانب

والعنصرية وهما: تمازج الجوانب الدينية والثقافية والعرقية على نحو ما يجسده تصاعد الظاهرة الجديدة المتمثلة في النبذ، نبذ "المسلم - العربي - الآسيوي"، وإعرا ب شخصيات فكرية وإعلامية مشهورة علنا عن الخطاب القائم على التمييز، وهذا ما جسده النجم التلفزيوني، روبرت كيلروي - سيلك، الذي أوقفت هيئة الإذاعة البريطانية برنامجه في شهر كانون الثاني/يناير الماضي بسبب مقالة نشرها في الصحافة البريطانية يتحدث فيها بشكل صريح عن الرهاب من الإسلام. وجاءت النتائج الهامة التي حصل عليها الحزب الذي انضم إليه كيلروي - سيلك، أي حزب استقلال المملكة المتحدة، في الانتخابات الأوروبية التي جرت في شهر حزيران/يونيه ٢٠٠٤ لتؤكد هذا الخطاب القائم على التمييز الراسخ في المملكة المتحدة.

١٩ - وفي النمسا، فاز حزب الحرية اليميني المتطرف في انتخابات عام ١٩٩٩ الوطنية ليصبح ثاني أكبر حزب في البلاد إذ حصده ما نسبته ٢٧,٧ في المائة من الأصوات وشارك إلى جانب حزب المحافظين (حزب الشعب) في تشكيل الحكومة. وتستهدف حملاته الدعائية في المقام الأول مواطني البلدان غير الأعضاء في الاتحاد الأوروبي، بمن فيهم طالبو اللجوء واللاجئون، الذين يتهمهم أنهم وراء البطالة والجرائم التي تشهدها المدن وارتفاع النفقات على الأمن ومراقبة الحدود واستغلال خدمات الضمان الاجتماعي^(١٣). وهو يعتبر أن مجرد وجود أشخاص غير نمساويين في النمسا كاف ليشكل خطرا على البلاد وعلى هويتها الوطنية. وبعد سقوط الحكومة في عام ٢٠٠٢، انخفضت أصوات حزب الحرية بشكل واضح (إذ حصل في عام ٢٠٠٢ على ما نسبته ١٠ في المائة من الأصوات)، غير أنه مع ذلك تمكن من البقاء في الائتلاف الحكومي فتولى عدة حقائب وزارية^(١٤). وليس في وسعنا إلا الشعور بالقلق إزاء الأثر السلبي الذي يخلفه على المجتمع بقاء حزب في السلطة يأخذ من التعصب وكرهية الأجانب شعارا له.

٢٠ - كما أن التجربة النمساوية شاهد على الخطر الجسيم الذي يتهدد الأنظمة الديمقراطية الأوروبية والعالم أجمع والمتمثل في تأثير اليمين المتطرف في الأحزاب ذات التقاليد الديمقراطية، فمن جهة، وبسبب ربط اليمين المتطرف بين الأجانب وانعدام الأمن، تضطر هذه الأحزاب، لا سيما أحزاب اليمين، إلى تضمين برامجها خطابا يتعلق بالأمن ويجسد عدم التسامح، وذلك خشية خسارة قسم من ناخبها. ومن جهة أخرى، تنحو هذه الأحزاب أكثر فأكثر نحو التحالف مع اليمين المتطرف الذي يتوصل إلى شغل مقاعد في الحكومة في بلد ما ويستطيع إلى حد ما فرض برنامجه الذي يقوم على مشاعر العنصرية وكرهية الأجانب. وإن الحكومة الإئتلافية في إيطاليا لمثال آخر على هذا النوع من التحالف بين اليمين واليمين المتطرف.

٢١ - تميز تاريخ الدانمرك الحديث بالتسامح الثقافي الذي تجسد في دفاعها عن الطائفة اليهودية خلال الحرب العالمية الثانية. غير أنها ليست في مأمن من تصاعد مشاعر العنصرية وكرهية الأجانب الذي يشهده العالم، وهذا ما يشهد عليه حصول الحزب الشعبي الدانمركي على ما نسبته ١٢ في المائة من الأصوات في الانتخابات البرلمانية التي جرت في تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠١. وهذا الحزب هو حزب معاد للمهاجرين شكل عقب انشقاق حزب التقدم. إن هذا الحزب الذي يجاهر بعنصريته وكرهيته للأجانب يشدد على الخطر الذي يشكله المسلمون على المجتمع المسيحي الدانمركي ويدعو إلى طرد المهاجرين واللاجئين من غير البيض. وتمثلت إحدى الدعائم الرئيسية لحملة المعادية للمهاجرين وللمسلمين في ملصق يظهر صورة فتاة صغيرة شقراء، مصحوبة بالشعار التالي: "عندما تتقاعد سيكون في الدانمرك أغلبية مسلمة" (١٥).

٢٢ - وتقاس قدرة الحزب الشعبي الدانمركي المتنامية على نشر خطابه العنصري والمعادى للأجانب ليس من خلال ازدياد مكاسبه الانتخابية والسياسية فحسب، بل أيضاً من خلال تبني الحزب الليبرالي الحاكم جزءاً من آرائه المعادية للأجانب. ومع أن الحزب الحاكم قد أقصى الحزب الشعبي الدانمركي عن ائتلاف اليمين الوسط الحاكم حالياً في الدانمرك، غير أنه تبني جزءاً من برنامجه المعادي للمهاجرين وذلك باعتماده تشريعات أكثر صرامة في مجال الهجرة. وعلى نحو ما أشار إليه باشي قريشي رئيس الشبكة الأوروبية لمناهضة العنصرية، فإن "من لا يحمل سمات الدانمركيين ينظر إليه كجزء شاذ عن المجتمع الدانمركي. فقد تسربت الكراهية إلى صلب المجتمع الدانمركي وأكثر من يقع ضحيتها هم المسلمون" (١٦).

٢٣ - وفي هولندا، تعد الأحزاب اليمينية المتطرفة الأحزاب الأكثر تحريضاً على البغضاء وكرهية الأجانب وهي حزب الوسط الديمقراطي (Centrumdemocraten) والحزب الوطني الجديد (Nieuwe Nationale Partij) والتكتل الهولندي (Nederlands Blok) ومجموعة من المجموعات غير البرلمانية. وتبين من دراسة أعدها المرصد الهولندي لظاهري العنصرية وكرهية الأجانب (١٧) تناول فيها مسألتَي العنف العنصري والعنف الذي يحض عليه اليمين المتطرف، أن العنف العنصري في هولندا يتجسد أغلب الأحيان في ما يُخطّ على الجدران وغيرها من كتابات عنصرية وفي عمليات التهديد والإنذار بوجود قنبلة والمجابهة والتخريب وإضرار الحرائق الإجرامية والاعتداءات والقتل. وظلت هذه العمليات تزداد بين عامي ١٩٩٦ و ٢٠٠٠ وانخفضت بشكل طفيف في عام ٢٠٠١. ويعود هذا الانخفاض إلى التدني الهائل في الشعارات العنصرية التي كانت تكتب على الجدران وغيرها، في حين أن الأعمال الأخرى بمعظمها قد ازدادت. ولو أُخذت نسبة أعمال العنف العنصرية التي ارتكبتها اليمين المتطرف من مجمل أعمال أعنف برمتها، لوجدنا أنها زادت في السنوات الأخيرة غير أنها لا تزال

تشكل نسبة ضئيلة منها. وغداة اعتداءات الحادي عشر من أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، سُجلت أيضاً موجة من العنف الذي استهدف المسلمين.

٢٤ - ووفقاً للمرصد المذكور آنفاً، لا تمثل هذه الأرقام سوى جزء صغير من الحوادث العنصرية التي تحدث فعلياً، إذ أن القسم الأعظم منها لا يسجل بسبب تكتّم الضحايا عليها. ويمكن أن تتراوح الأرقام الصحيحة بين أربعة أضعاف إلى أربعين ضعفاً الأرقام المشار إليها (أي ما بين ١ ٦٠٠ و ١٦ ٠٠٠ حالة في عام ٢٠٠٠). وأكد المرصد الأوروبي لظاهري العنصرية وكرهية الأجانب على أن عدد أعمال العنف الدقيق هو المقدر بـ ١٦ ٠٠٠^(١٨). وما يدعو إلى القلق، إلى جانب هذه الأرقام، هو ملاحظة أن مشكلة العنف العرقي والعنف الذي يحض عليه اليمين المتطرف في هولندا تمثل بأبعادها الاجتماعية عائقاً كبيراً يحول دون الاندماج في المجتمع^(١٩).

٢٥ - وإن مشاعر البغضاء والعنصرية وكرهية الأجانب سائدة أيضاً في العديد من بلدان أوروبا الغربية والوسطى والجنوبية. وقائمة المجموعات السياسية وشبه العسكرية المعروفة بعنصريتها وكرهيتها للأجانب طويلة ومتنوعة. ففي إيطاليا، يوجد حزبان معروفان بعدائهما للأجانب وهما حزب التحالف الوطني وحزب رابطة الشمال الحاكم منذ شهر حزيران/يونيه ٢٠٠١ عبر حكومة ائتلافية مع حزب رئيس الوزراء سيلفيو برلسكوني. ويروج ممثلو هذين الحزبين خطاباً عنصرياً ومعادياً للمهاجرين في المجتمع الإيطالي وأقروا قانوناً بشأن الهجرة صارماً للغاية (قانون بوسّي - فيني، وهو قانون يحمل اسم زعيم كل من الحزبين المذكورين) انتقدته المحكمة الدستورية الإيطالية بشدة الانتقاد. وفي بلجيكا، تحظى الكتلة الفلمنكية اليمينية المتطرفة بنسبة ١٥ في المائة من الأصوات في المنطقة الفلمنكية وتنتشر بفعل خطاباتها وأعمالها المعادية للأجانب. وفي إسبانيا، يوجد حزبان يمينيان متطرفان وهما إسبانيا - ٢٠٠٠ والديمقراطية الوطنية، اللذان يدعوان إلى الحماية الاقتصادية وإبعاد المهاجرين غير الشرعيين ورفض الهياكل الأوروبية والتزعات الاستقلالية الإقليمية رفضاً باتاً.

٢٦ - أما سويسرا، التي تضم أكبر عدد من طالبي اللجوء بالنسبة لعدد السكان في مجموعة البلدان المتقدمة، والمعروفة بسخائها من حيث توفير المسكن والمأكل والتعليم للاجئين، فقد تعرضت سياستها للانتقاد في الخطاب الذي تبناه حزب الاتحاد الديمقراطي، وهو من أحزاب الوسط، خلال انتخابات شهر تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٣. وأدت الانتخابات إلى كسب الاتحاد الديمقراطي مزيداً من السلطة في أعقاب حملة معادية للأجانب حظيت باهتمام إعلامي واسع. ويقوم عدد محدد من الفصائل شبه العسكرية و"جماعات أشباه المثقفين اليمينية الجديدة"، إلى جانب المجموعات اليمينية المتطرفة التي تروج الأفكار العنصرية،

بالدعوة من خلال تنظيم المؤتمرات والاجتماعات العامة^(٢٠) إلى ترجيح كفة الاعتداد بالعرق وكرهية الأجانب على حساب السياسات الحالية المتمثلة بالتسامح والإدماج.

٢٧ - وباتت الحالة السائدة في الاتحاد الروسي مصدر قلق خاص، إذ يتزايد فيه عدد الحوادث وأعمال العنف التي تستهدف الأجانب، لا سيما الآسيويون والأفارقة والقوقاز. وأدت الشتائم العنصرية والاعتداءات السافرة التي تقدم عليها مجموعات منظمة إلى إشاعة جو من انعدام الأمن في الحياة اليومية لكثير من الأجانب. وفي عام ٢٠٠٢، ناشد دبلوماسيون من ٣٧ دولة أفريقية وزارة الخارجية توفير المزيد من الحماية لمواطنيهم. وتبين من تقارير صحافية صدرت مؤخراً أن المجموعات الروسية المعنية بالدفاع عن حقوق الإنسان أكدت تفشي حالات المضايقة التي كثيراً ما تحدث على مرأى من الشرطة أو بدعم منها^(٢١).

٢٨ - ووفقاً لمنظمة العفو الدولية، إن الاتحاد الوطني الروسي، وهو مجموعة متطرفة، هو المسؤول عن ارتكاب العديد من عمليات التخريب العنصرية وتوزيع المناشير المعادية للسامية وتهديد الناشطين الملتزمين بمكافحة العنصرية بالقتل. ولقد اغتيل مؤخراً نيكولاي غارينكو، الذي كان أحد المدافعين عن حقوق الإنسان ومتفانياً لمكافحة العنصرية. وأعربت منظمة العفو الدولية عن قلقها العميق إزاء تصاعد مشاعر العنصرية والجرائم العنصرية في الاتحاد الروسي، لا سيما في أوساط عصابات حليقي الرؤوس اليمينيين المتطرفين التي ارتكبت مؤخراً العديد من جرائم القتل ذات الطابع العنصري، وقعت إحدى ضحاياها في شهر أيلول/سبتمبر ٢٠٠٣ فتاة صغيرة غجرية كانت في السادسة من عمرها وفي شهر شباط/فبراير ٢٠٠٤ فتاة صغيرة طاجيكية كانت في التاسعة من عمرها^(٢٢).

٢٩ - ويكمن أول التحديات التي تواجهها السلطات في القيام، تمشياً مع إعلان ديربان وبرنامج عمله، بصياغة خطة وطنية لمكافحة العنصرية واتخاذ تدابير ملموسة بحيث تتمكن مؤسسات إنفاذ القانون وحفظ النظام من قطع دابر كل عمل عنصري وقائم على التمييز. وينبغي منع الأحزاب السياسية والمجموعات القومية من مواصلة حملاتها القائمة على برامج عنصرية ومعادية للأجانب. ويبدو أن هذا الأمر يستدعي من أرفع السلطات في الدولة إصدار إعلان رسمي مناهض للعنصرية وكرهية الأجانب والتعصب، يصاحبه برنامج وطني واسع النطاق على المستويين القانوني والتربوي لوضع حد للآلية العنصرية والمعادية للأجانب التي بطبيعتها تقوض الديمقراطية وتعطل تطور المجتمع الروسي بشكل ديمقراطي.

باء - آسيا

٣٠ - ترتبط المسائل المعاصرة للعنصرية والاعتداد بالعرق وكراهية الأجانب في آسيا، أرض الشعوب والثقافات والديانات والحضارات المتنوعة، ارتباطا وثيقا بالمشاكل المتصلة بعملية بناء الدولة في زمن ما بعد الاستعمار. وكثيرا ما أدى تضارب المصالح الاقتصادية أو السياسية، مقرونةً بإيديولوجيات الاستبعاد التي تروجها المجموعات المعادية للأجانب والقومية، إلى خلق مشاعر عنصرية تجاه المجموعات الإثنية. فكثيرة هي المجموعات من السكان الأصليين، من مثل سكان منطقة الكوردويروس في الفلبين والكارنس والشانس في المرتفعات الجبلية في ميانمار والناغاس والميزوس وغيرها من المجموعات المقيمة في تريورا والمناطق المتاخمة لبنغلاديش، التي تعاني من الاستبعاد والاضطهاد، في حين أن طوائف أخرى - أي المسيحيين والمسلمين والهندوس والبوذيين - تقع ضحية العنف بسبب العرق والدين أو الانتماء الإثني.

٣١ - وفي الهند، وعلى الرغم من الجهود الحثيثة التي بُذلت في المجالات السياسية والدستورية والقانونية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية فضلا عن التقدم الهائل المحرز في هذا المجال، ما برح التمييز الذي تتجسد أبرز أشكاله في نظام الطبقات، يمثل عاملا من العوامل التي تفضي إلى العنف والتفكك الاجتماعي، لا سيما في عمق البلاد. ومع أن دستور عام ١٩٥٠ منع التمييز وحدد حصصا لملء الوظائف الحكومية، ما أفضى إلى تحسين حياة الملايين من المنبوذين وأفراد قبائل السكان الأصليين، ما زال التمييز متجذرا في المجتمع. أما على مستوى البرامج السياسية، فيتعين الإشارة إلى أن حزب بهاراتيا جاناتا الهندوسي القومي الذي بقي في الحكم حتى أشهر قليلة خلت، يضع برنامجا يندرج فيه الجانب الذي يروج كراهية الأجانب.

٣٢ - أما في اليابان، فتعزى ظاهرتا التمييز العنصري وكراهية الأجانب إلى عاملين، وهما بنيتها الاجتماعية الداخلية الشديدة التراتبية، حيث يتواصل التمييز ضد المجموعات المهمشة من مثل البوراكو، وسجلها الحافل بالتراعات مع البلدان المجاورة، ما ولّد شعورا شديدا بالعنصرية تجاه الشعوب الآسيوية، لا سيما الشعب الكوري. ويشكل خطاب السياسيين وطريقة كتابة التاريخ وتعليمه شاهدا على أن هذه الإيديولوجيا القائمة على التمييز لا تزال تضرب جذورها في العقلية اليابانية.

جيم - أفريقيا

٣٣ - تتميز أفريقيا عن غيرها من المناطق بتنوع هوياتها الإثنية والثقافية والعرقية. واحتل عنصر العرق أثناء الاستعمار موقع الصدارة، إذ استخدم لرسم الحدود الجغرافية في القارة،

كما اعتمد كمعيار فاصل في الانقسامات الاجتماعية. وبعد الاستقلال، استخدم المعيار العرقي كمسوغ لتبرير النزاعات الأهلية في الدول التي كانت لا تزال تقيم فيها مجموعات من المستعمرين.

٣٤ - ومع ذلك، فإن أسوأ أعمال العنف التي سجلت منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية كانت تلك التي تسبب بها العنف بين الأعراق على غرار ما حدث، على سبيل المثال، في رواندا عندما فتك الهوتو بمليون فرد من التوتسي في عام ١٩٩٤. هذه الإبادة الجماعية الأليمة للغاية من حيث طابعها المنظم والمنهجي، وعدد ضحاياها وعدم التفات المجتمع الدولي إلى هذه المأساة وعدم تحريكه والأمم المتحدة ساكنة، كلها أمور تشكل إنذاراً ينبه إلى مدى شدة البغض بين الأعراق والإثنيات واستحكامه وإلى العنف الذي يولده في فجر الألفية الثالثة. والمسألة المحورية التي تثيرها الإبادة الجماعية التي شهدتها رواندا لا تتعلق بمشاعر البغضاء الجياشة المتفشية بين الأعراق في المنطقة فحسب، بل هي ذات صلة أيضاً بتهاون الضمير العالمي بالتمسك بالمعايير الأخلاقية وبتعبئة القوى السياسية لمكافحة الثقافة والعقيلة العنصريتين والمعاديتين للأجانب. وعليه، ثمة عجز عن إيجاد حلول جذرية ودائمة ما يؤدي إلى شيوع ثقافة الإفلات من العقاب وتكرار الإبادة الجماعية، وهذا ما يتجسد بشكل واضح في المحازر التي يرتكبها بانتظام المسؤولون عن الإبادة الجماعية. وتأتي المحزرة المروعة التي حدثت في ١٣ آب/أغسطس ٢٠٠٤ في مخيم العبور الكائن في غامبو في بوروندي والتي وقع ضحيتها ١٦٠ لاجئاً من بانيامولينغي التوتسي الذين فروا من جمهورية الكونغو الديمقراطية، لتشكل الحلقة المأساوية الأخيرة من سلسلة لا نهاية لها من المحازر ذات الطابع الإثني التي يفلت مرتكبوها من العقاب وترتكب في مناطق أخرى من القارة، وأبرزها ليبيريا وسيراليون وكوت ديفوار.

٣٥ - وأدى الصراع بين "المستعربين" السودانيين في شمال السودان وغيرهم من الأفارقة ذوي البشرة الأكثر سودا في جنوب البلد إلى سقوط مليوني ضحية وتشريد ٤ ملايين ضحية أخرى. وما أن يبدو أن الصراع قد بدأ يخمد حتى ترتكب محازر يدعى بأنها ذات طابع إثني وتمضي في حصد ضحايا في منطقة دارفور. كما أن الحرب الدائرة في جمهورية الكونغو الشعبية، التي تتجسد في أشكال متعددة من النزاعات بين الإثنيات والفصائل الإقليمية وأمرء الحرب، تسببت بتفشي العنف الطائفي الذي أودى بحياة ما يزيد على ثلاثة ملايين شخص في الأعوام الخمسة الماضية وحدها^(٣٣). بناء على ذلك، تعهد المقرر الخاص بإيلاء الأولوية إلى هذه المنطقة عبر القيام بأعلى قدر ممكن من الدقة والشمولية ببحث البعد الإثني للنزاعات التي تدميها.

دال - أمريكا الجنوبية

٣٦ - إن الاستعمار والرق في أمريكا الجنوبية أديا إلى إرساء مجتمع تشكل فيه الانقسامات الاجتماعية النسيج الرئيسي للعلاقات الإنسانية والسلطة. وأنشئت المجتمعات في نصف الكرة الأرضية هذا على أساس إرث تاريخي من العنصرية والتمييز، هذا الأساس الذي يبنى عليه إيديولوجياً نظام الرق والنظام الاستعماري. ولم يقف التمييز الذي طال أصلاً السكان الهنود الأمريكيون، أي السكان الأصليين وتسبب في بعض المناطق باختفاء جماعات برمتها عند هذا الحد، بل امتد ليشمل المجموعات السكانية من أصول أفريقية التي استُبعدت وأصبح متأصلاً في أوساطها. وأفضى هذا الأمر في معظم بلدان المنطقة إلى نشوء ظاهرة مقلقة ألا وهي تطابق خارطة الفقر والتهميش مع حدود المناطق التي تقطنها هذه المجموعات. ويتوافق التوزيع الطبقي السياسي والاقتصادي والاجتماعي عادة مع التوزيع من حيث العرق واللون. وتم تشكيل أحزاب سياسية وبنائها وتنظيمها بمحورة برامجهما حول إيديولوجيا التمييز العنصري والإثني هذه. والتحدي الرئيسي الذي تواجهه هذه البلدان هو إدراك الواقع السائد ومدى عمق جذور الإرث التاريخي للعنصرية والتمييز، وتحويل التنوع الإثني والثقافي من واقع مححف وقائم على التمييز إلى تعددية ثقافية وإثنية وديمقراطية ومنصفة وتفاعلية. ولربما هذه هي المنطقة التي يمكن، بفعل ما تعيشه من أوضاع غاية في العنف جمعت في ظلها أعراقاً وشعوباً وثقافات هائلة، أن تنمو فيها التعددية الحقيقية التي تتفاعل لا التي تجتمع، هذه التعددية التي تربط بين الاعتراف بالهويات الإثنية والثقافية، سواء التي تتميز بخصائص محددة أو الهويات الفريدة من نوعها، واحترامها وحمايتها، وبين دمج الخصائص المتفردة هذه لتصبح بوتقة واحدة تربطها وتوحدتها وتتجاوزها.

٣٧ - واليوم، تعتبر المجموعات المحرومة في غالبية بلدان المنطقة أن المقومات العرقية والإثنية هي الدافع الفصل وراء التمييز الذي يستهدفها. وفي دول من مثل بيرو وبوليفيا وغواتيمالا، ما برحت تتمحور النقاشات السياسية حول موضوع التمييز والتهميش اللذين يقع ضحيتهم السكان الهنود الأمريكيون/الأصليون. كما أن عملية التمييز والتهميش هذه توقد التزايدات المسلحة التي تمزق المنطقة. وإن اعتبار دول أمريكا الجنوبية نفسها أنها في المقام الأول وريثة التاريخ والثقافة الإسبانية والبرتغالية، مع تجاهلها جذورها الأفريقية والأمريكية الهندية، هو إلى حد كبير مصدر أعمال العنف هذه.

٣٨ - والبرازيل، هذا البلد الذي يحمل لواء التعددية المضىء ويأخذ على عاتقه تطبيق سياسات اجتماعية لا تميز البتة بين الأعراق، هي الآن مسرح لعمليات تمرد تقوم بها المجموعات المهمشة لفضح حقيقة العنصرية المتجذرة المسترة التي تمثل مصدراً لانعدام المساواة

والإجحاف. إن التمييز الاجتماعي والتمييز العنصري يرفد كل منهما الآخر ويتغذى كل منهما من الآخر. غير أن قوى التغيير تعمل بكل طاقتها. فهي تجهد للقيام، عبر الحوار والخطاب الرسمي، بإدراج مسألة العنصرية التي أصبحت تعلم بوجودها، في سياق أوسع ألا وهو العمل السياسي وتنفيذ سياسات عامة ترمي إلى كفالة العيش السوي في المجالين الاقتصادي والاجتماعي وتكافؤ الفرص. وعدلت هذه القوى عن الصورة المثالية المتمثلة في إقامة ديمقراطية يسود فيها الوئام بين الأعراق لصالح إقامة مجتمع ناضج يقوم على العدالة والتعددية. وهذه العملية، لمن ما برحت في بدايتها، فإنها جارية على قدم وساق في معظم دول القارة. إلا أن الرفض الصريح للعنصرية غالبا ما يصاحبه خطاب ذو صبغة أبوية يستخدم مطية لإظهار دونية الآخر، هذا الآخر الذي يتعين مساعدته^(٢٤). وعلى ما يبدو، بدأ اجتياز هذا الدرب الطويل الذي ينبغي قطعه لإقامة مجتمع متعدد إثنية وثقافيا ومنصف وتفاعلي يتعدى حدود الفولكلور الاستوائي المتعدد الأعراق الذي يستخدم للتستر على حالات التفاوت الشديدة الموجودة، لكن لإنهائه لا بد من توافر الرؤية واليقظة والتصميم.

٣٩ - وما خلا المظاهر والرأي الواسع الانتشار في أن أمريكا الجنوبية ستصبح مثالا ناجحا إلى حد ما على احتلاط الأعراق، ما برحت المساواة بين الأعراق والإثنيات بعيدة من التحقيق. أيا تكن الحال، "ثمة نزاع علني بين الصورة الرسمية للمساواة القانونية المدرجة في تشريعات جميع البلدان وبين التمييز المستمر على أسس "عرقية" و/أو "إثنية"، في كل حقل من حقول بنية السلطة على اختلافها، بدءا بالسياسة"^(٢٥).

هاء - الشرق الأوسط

٤٠ - سعى القوميون في الشرق الأوسط إلى بناء أمة عربية واحدة على أساس تشاظرها نفس الثقافة والدين والتاريخ. ولكن رغم صياغة هذا المطلب فكرياً وسياسياً وخصوصاً من جانب دعاة البعث في الجمهورية العربية السورية وفي العراق، ما زالت تتحكم بواقع المنطقة عوامل القطرية والتضامن القبلي والعشائري. وتقوم الأحزاب السياسية في العديد من البلدان على أسس طائفية ودينية. ومع أن الإسلام ما زال يشكل عاملاً من عوامل توحيد المنطقة، إلا أنه غالباً ما تكون الغلبة للخصائص الدينية.

٤١ - وإن سني الحرب الأهلية الطويلة التي شهدتها لبنان مؤخراً لدليل على العواقب المأساوية الناجمة عن الاستقطاب العرقي والطائفي. أما في مصر، فتعبر حالة المسيحيين الأقباط عن واقع حالات التوتر والعداء والممارسات القائمة على التمييز الموجودة بين الأديان والطوائف^(٢٦). وفي الجزائر، يقع غير المسلمين ومعارضو الإسلام السياسي على السواء

ضحية لأعمال العنف الدموية التي يقوم بها إسلاميو جبهة الخلاص الإسلامي والجماعة الإسلامية المسلحة.

٤٢ - ويمثل انقسام الإسرائيليين والفلسطينيين على أسس سياسية وعرقية ودينية النتيجة الرئيسية لتزاع الشرق الأوسط. وعليه، تشكل مسائل العنصرية والاعتداد بالعرق وكرهية الأجانب أبعاداً أساسية للتزاع، بل هي حتى مظاهر التزاع الواضحة. وتتسم دوامة العنف الشديد التي أسفرت عنها آلية الاحتلال، المتمثلة في أعمال مقاومة عنيفة يعقبها انتقام عسكري، لا تقتصر عواقبها على تحمل المدنيين من الطرفين تكاليفها الباهظة فحسب، بل هي تؤدي أيضاً إلى تغذية مشاعر الحقد والضعف العرقية الشديدة التي تتجسد في شكل برامج سياسية وممارسات قائمة على التمييز. والوضع الحالي غير المقبول الذي يعيشه السكان الفلسطينيون، لا سيما على كل من الصعيد الاقتصادي والاجتماعي والإنساني هو وضع سكان يعاملون بتمييز. والاعتداءات التي تستهدف المدنيين الإسرائيليين غير مقبولة على الإطلاق، وحتى لو كان لإسرائيل الحق في الدفاع عن نفسها، فإن بناءها "جداراً أمنياً" يشكل رمزاً للانغلاق لا يتسق مع تصرفات شعب اتصف تاريخه برمته برفض فكرة الغيتو. ومن الآثار السلبية لهذا التزاع مساهمته بطريقة غير محتملة في تصاعد حدة الرهاب من الإسلام ومعاداة السامية في أرجاء أخرى من العالم.

٤٣ - وعلى صعد أخرى، تشهد بعض دول الشرق الأوسط ومناطقه نزاعات تؤدي فيها المشاكل العرقية والإثنية والدينية، الحقيقي منها والوهمي، دوراً رئيسياً. وتضم أغلب هذه الدول أقليات عرقية ودينية هامة تعاني منذ فترة طويلة من التهميش والاضطهاد. وفي الواقع، تعرف بلدان مثل لبنان والعراق والجمهورية العربية السورية بأنها "دول الأقليات". بينما يشار إلى بلدان أخرى مثل الأردن بأنها دولة ذات شعبين، إذ تضم أردنيين وسكاناً من أصل فلسطيني. أما الدول الأكبر منها، من مصر وجمهورية إيران الإسلامية إلى تركيا، فإنها تضم أقليات عرقية ودينية استهدفتها بالتمييز إما الدولة أو الأعراق والطوائف الأخرى. وحتى سكان دول الخليج ذاتها، الذين كانوا حتى ماض قريب يعيشون في أكثر الأجواء سلاماً، بدأوا يواجهون مشاكل الاعتداد بالعرق والاستبعاد الناجمة عن توافد أعداد غفيرة من العمال الأجانب إلى بلدانهم. وشرعت تتكشف أسوأ عواقب مكافحة الإرهاب في هذه المنطقة، فهي تسبب فعلياً بتزاعات تتواجه فيها شرائح وجماعات وحتى أديان وثقافات مختلفة كانت في ماضى ولفترة طويلة تعيش "عيشاً مشتركاً" حيويًا وتفاعلياً.

واو - أمريكا الشمالية

٤٤ - إن منطقة أمريكا الشمالية، المكونة من دولتين متقدمتين هما الولايات المتحدة وكندا هي منطقة تناقضات، إذ أنها أرض تفتح أبوابها أمام العديد من المهاجرين من العالم أجمع وأرض الثروات وتكافؤ الفرص وفي الوقت نفسه هي أرض نبتت فيها أعنف الإيديولوجيات والحركات العنصرية المعادية للأجانب.

٤٥ - واتسمت ولادة الولايات المتحدة كأمة بما سماه غونار ميردال "المعضلة الأمريكية" التي تمثلت في التناقض بين مثل الأمة القائمة على قيم الحرية وتكافؤ الفرص، من جهة، وواقع انعدام المساواة بين الأعراق والاستبعاد من جهة أخرى. فحتى بعد إلغاء الرق وإعلان المساواة قانوناً، يجد معظم السكان الهنود الأمريكيين والأمريكيين من أصول أفريقية وحاليا الأمريكيين الذين هاجروا من أمريكا اللاتينية أنفسهم في صفوف أشد الطبقات فقراً وهميشاً. وتختلف الآراء في مدى التقدم الذي حققته الولايات المتحدة في مجال مكافحة التمييز العنصري. وحتى لو تم تحقيق تقدم بارز في مجال فتح مجالات العمل أمام السود والاعتراف بحقوقهم الاجتماعية، فإن مشاعر العنصرية وعمليات الاستبعاد ما برحت تسود.

٤٦ - أما على المستوى السياسي، فقد تمكنت الأحزاب والحركات الشعبية التي تروج لمشاعر الضغينة والعنصرية من تقويض الجهود التي تبذل لإزالة الجور البنيوي والاجتماعي. وإن عدد المجموعات المتطرفة مثل "كو كلوكس كلان" والمجموعات النازية الجديدة والمليشيات الشعبية بلغ في نهاية التسعينات على أقل تقدير ٥٤٠ مجموعة. أضف إلى ذلك أننا شهدنا بعد اعتداءات الحادي عشر من أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ المأساوية ازدياداً في أنشطة المجموعات العنصرية والمعادية للأجانب التي استهدفت بشكل خاص أفراداً بعينهم وجماعات محددة من المسلمين والعرب والآسيويين.

٤٧ - وكندا، بفعل قربها الجغرافي، لم تكن بمنأى عن هذه الظواهر، ففيها مجموعات تروج لمشاعر البغضاء ضد أعراق أو إثنيات معينة. وتشهد الأقليات الإثنية فيها على حقيقة العنصرية والتمييز اللذين تعاني منهما. غير أن هذا البلد، الذي لديه أيضاً تاريخ من العنصرية والتمييز اللذين ما برحا موجودين على المستويين الاقتصادي والاجتماعي، وضع استراتيجية قانونية لمكافحة العنصرية والتمييز، متقدماً بذلك على جميع بلدان هذا النصف من الكرة الأرضية. وإن كندا، كونها بلداً يتميز أساساً بأنه بلد هجرة، يتحتم عليه ليس الحرص على تحديد هيكله السياسي وتكييفه فحسب، بل عليه بصفة خاصة وضع استراتيجية فكرية وأخلاقية تشجع على إقامة تعددية ثقافية حقيقية أكثر عدلاً وتفاعلية. وقدم المقرر الخاص إلى

لجنة حقوق الإنسان في دورتها الستين تقريراً عن زيارته لكندا (E/CN.4/2004/18/Add.2). وهو مسرور لموافقة كندا على أن يقوم بزيارة لمتابعة هذه المسألة.

١ - العنصرية والاعتداد بالعرق وكرهية الأجانب في الخطاب الرسمي

٤٨ - كانت تسري لفترة طويلة من تاريخ الولايات المتحدة وكندا قوانين ولوائح تجيز تطبيق سياسات التمييز والاستبعاد بحق بعض الأقليات العرقية والإثنية. وفي الولايات المتحدة، أقرت القوانين المعروفة بقوانين جيم كرو تطبيق الفصل العنصري، وسعت إلى الحد من حقوق الأمريكيين الأفارقة استناداً إلى قرار المحكمة العليا القائم على "الفصل والمساواة في آن معاً" (٢٧). وكذلك الأمر، فعندما تم في التعديل الرابع عشر لدستور الولايات المتحدة اعتبار "الأمريكيين الأفارقة مواطنين أمريكيين، لم ينسحب هذا الأمر على السكان الهنود الأمريكيين" (٢٨). وإن حكم المحكمة العليا الذي حدد أن قبائل الهنود هي في مرتبة "الريب" كان مقدمة لاعتبار الهنود قُصراً موضوعين تحت الوصاية لا مواطنين بكل معنى الكلمة ولحرمانهم من حقوقهم المدنية والسياسية والاقتصادية. كما أن فرانك ه. وو يعزو الأسطورة التي تعتبر الآسيوي غريباً يستحيل على الإطلاق إدماجه في المجتمع إلى قانون استبعاد الصينيين (١٨٨٢) الذي كان يرمي إلى منع المهاجرين الآسيويين من الحصول على الجنسية (٢٩).

٤٩ - وبفضل حركة الدفاع عن الحقوق المدنية، أزيلت العوائق التشريعية التي كانت تحول دون تكافؤ الفرص والمساواة أمام القانون وتحسنت إلى حد كبير إمكانيات التحاق الأقليات بالمؤسسات التعليمية وعملها في القطاع العام. وانتهى الأمر بالأقليات إلى تشكيل طبقة متوسطة هامة بارزة، وهذا ما تثبتته الزيادة الكبيرة في عدد السود والأمريكيين المهاجرين من أمريكا اللاتينية والآسيويين والمتحدرين من منطقة المحيط الهادئ في مؤسسات التعليم العالي التي رافقها تحسن في وضعهم الاقتصادي.

٥٠ - وعلى الرغم من أوجه التقدم الكبير هذا، ما برحت عمليات التمييز ضد الأقليات العرقية والإثنية واسعة الانتشار. وإن العداء العرقي، لئن شُطب من على الورق، فإنه لا يزال مترسخاً في العقليات وهذا ما هو أشد صعوبة على الاستئصال. زد على ذلك أن العنصرية تجاه السود والسكان الأصليين الأمريكيين تمتد لتشمل مجموعات إثنية من غير المجموعات الأنغلوساكسونية التي تعود أصولها لمختلف المناطق الأوروبية. وتحدث بنجامين فرنكلين عن مفهوم الأمة الأحادي الثقافة الذي ساد عصره، فميز حتى بين المجموعات الإثنية البيضاء بإعرايه عن خشيته من أن "تصبح بنسلفانيا مستعمرة من الأغراب الذين سيزداد عددهم قريباً بحيث يحولوننا إلى جرمانيين بدلاً من أن نحولهم إلى أنغلوسكسونيين". وفرضت أيضاً

قيود على هجرة الكاثوليك واليهود وغيرهم من الأقليات إلى الولايات المتحدة. وسبب مشاعر العداء تجاه الأقليات الوافدة من أوروبا الجنوبية والوسطى كان الخوف من الاضطراب إلى إدماج ثقافات مختلفة وإلى الرغبة في الإبقاء على هيمنة الأنغلو سكسون البيض البروتستانت.

٥١ - وآثرت الولايات المتحدة مع مرور الزمن اعتماد سياسة متعددة الأعراق تعددية ومفتوحة على التنوع. غير أن عددا من المنظرين والناشطين مضوا في معركتهم نحو ما تحقق في هذا المضمار من مكاسب جماعية بحجة أن التنوع والتعددية يشكلان خطرا على الدولة. وحدثت واقعة رمزية عقب حالات التوتر وأعمال العنف التي شهدتها لوس أنجلوس في نيسان/أبريل ١٩٩٢، إذ أن هيئة المحلفين المكونة من أشخاص بيض برأت ساحة أفراد الشرطة البيض الذين مثلوا أمام المحكمة لاتهم بضرر شخص أسود ضربا مبرحا لتجاوزه في سيارته السرعة المحددة. وما أن صدر هذا الحكم حتى اندلعت أعمال الشغب التي استمرت يومين وهزت المدينة التي دارت فيها حرب شبه أهلية بين السكان السود والشرطة أودت بحياة أربعين شخصا. وبالفعل، فإن التفاوت الاجتماعي يهشم المجموعات الإثنية الفقيرة ويسجنها في غيتوات شاسعة. وتتجاوز مختلف المجموعات العرقية في مناخ يتنامى فيه العنف الحضري وما عادت تؤمن بالبوقة التي ينصهر فيها الجميع (Melting Pot): إذ أن "ما يحل محل المطالبة بالحقوق المدنية من الآن فصاعدا هو انطواء كل مجموعة على حالها لمجابهة المجموعات الأخرى وهذا أمر يهدد تماسك المجتمع الأمريكي" (٣٠).

٢ - عودة السياسة المتطرفة والقومية العرقية وكرهية الأجانب

٥٢ - تضم الولايات المتحدة، على غرار أوروبا، عددا كبيرا من المنظمات المتطرفة التي تروج البغضاء العرقية والإثنية. وقد أصبحت جمعية "فرسان كو كلوكس كلان"، التي نشأت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، أكثر التنظيمات عنصرية ودموية على الإطلاق. وتتفاخر الجمعية، التي أعلنت أنها "أمريكية مائة في المائة، ومسيحية مائة في المائة، وبروتستانتية مائة في المائة"، بعدد أعضائها الذي بلغ عام ١٩٢١ ما مجموعه ١,٢ مليون عضو وناهز، في أوجه، ٦ ملايين عضو. وقد حلت محلها مجموعات تفرعت عنها كالفرق المتحدة الأمريكية (United Klans of America)، والإمبراطورية الخفية (The Invisible Empire)، وفرسان كو كلوكس كلان (Knights of the Ku Klux Klan) (٣١). وإن ديفيد ديوك، وهو أحد أشهر زعماء هذه الحركة يتزعم حاليا منظمة الوحدة والحقوق الأوروبية الأمريكية، التي تجاهر بعنصريتها ومعادتها للسامية.

٥٣ - وتطول قائمة المنظمات الأخرى العنصرية والمعادية للأجانب. وأخطرها وأحسنها تنظيمًا مجموعة التحالف الوطني، التي تعمل على ترويج أفكار نازية جديدة عن طريق بث موسيقى الروك وتوزيع منشورات وأشرطة تسجيل ومجلات؛ وحركة الهوية المسيحية، التي تتبنى برنامجًا قائمًا على العنصرية ومعاداة السامية؛ وجماعة النذير قبل فوات الأوان (Eleventh Hour Remnant Messenger)، التي تنشر رسائل دينية من خلال المراسلات المكتنفة؛ وكنيسة الخالق العالمية (World Church of the Creator)، التي تركز على تجنيد طلاب المدارس؛ والحركة الاشتراكية القومية، التي تقوم بنشر صحيفة عنصرية توزع منها ١٠٠ ٠٠٠ نسخة. ويعاضد هذه المنظمات عدد غفير من المجموعات الصغيرة التي لا تتوانى عن استخدام جميع الأساليب لبث مشاعر الحقد وكرهية الأجانب والتعصب، بدءًا بالموسيقى والكتب المصورة مرورًا بالمسيرات والتجمعات والمنشورات إلى التجنيد النشط وانتهاء بالإنترنت. كما أنها تعتمد أيضًا على استغلال قيم ديمقراطية مثل حرية التعبير لتحقيق غاياتها بطريقة أكثر فعالية.

٥٤ - ولئن كانت الحركات المتطرفة العنصرية والمعادية للأجانب في أمريكا الشمالية حركات تضم بمعظمها أعضاء من البيض، ثمة مجموعات أخرى تنظم نفسها حول إيديولوجيات قائمة على التمييز، فحركة أمة الإسلام، التي يتزعمها لويس فرخان، تجاهد لاحتلال السود، كهوية، مكانة في الإسلام.

٥٥ - وإن الزيادة الكبيرة في لجوء الأحزاب والحركات القائمة على التمييز إلى استخدام تكنولوجيا المعلومات كوسيلة لغرس العقائد تعطي فكرة عن الأضرار الهائلة التي يمكن أن تتسبب بها رسائلها. ولترويج مشاعر البغضاء وكرهية الأجانب والفصل العنصري، استخدمت هذه الأحزاب والحركات شبكة الإنترنت بمهارة. ”فبينما لم يكن في عام ١٩٩٥ إلا موقع إلكتروني واحد يدافع عن تفوق العرق الأبيض، وصل عدد هذه المواقع في عام ١٩٩٩ إلى ١٨ ٠٠٠ موقع يتبنى النظرية نفسها ويث شتى الخطابات العنصرية وغيرها من الخطابات المشحونة بالحقد“^(٣٢).

ثالثا - التوصيات

ألف - الاعتراف والوعي

٥٦ - ينبغي الاعتراف بأن الحالة الراهنة للعنصرية والاعتداد بالعرق وكرهية الأجانب وما يتصل بذلك من تعصب تمثل خطرا كبيرا على السلام والأمن والتنمية البشرية. وتؤكد الفقرة ١١٥ من برنامج عمل ديربان، ”على الدور الأساسي الذي يمكن أن يلعبه

السياسيون والأحزاب السياسية في مكافحة العنصرية والتمييز العنصري وكرهية الأجانب وما يتصل بذلك من تعصب، وتشجع الأحزاب السياسية على اتخاذ خطوات ملموسة لتعزيز المساواة والتضامن وعدم التمييز في المجتمع، وذلك باعتماد أمور منها مدونات قواعد السلوك الطوعية التي تشمل التدابير التأديبية الداخلية التي تتخذ في حال انتهاك تلك المدونات، كما يمتنع الأعضاء فيها عن الإدلاء بالبيانات العامة أو عن التصرفات التي تشجع أو تحرض على العنصرية والتمييز العنصري وكرهية الأجانب وما يتصل بذلك من تعصب"، ويتعين أن تكون هذه الفقرة حجر الزاوية في جميع البرامج السياسية التي تعتمدها الدول الأعضاء في الأمم المتحدة.

باء - منع البرامج والأقوال العنصرية والمعادية للأجانب

٥٧ - يتعين على الدول التشدد في تدقيقها في التصريحات والأقوال العنصرية والمعادية للأجانب، لاسيما حينما تكون صادرة عن ممثلي الأحزاب السياسية أو غيرها من الحركات الإيديولوجية، والعمل على وضع حد لها. ولا يجوز التذرع بحرية التعبير للتحريض على مثل هذه المشاعر. كما يتعين القيام قانونا بحظر أي حزب أو حركة تروج خطابا عنصريا ومعاديا للأجانب. ويتعين أيضا منع كل موقع على شبكة الإنترنت يتضمن محتويات عنصرية أو معادية للأجانب، واعتماد إجراءات لضبط هذا الأمر.

جيم - استحداث مؤسسات وإجراءات للمتابعة وإعداد التقارير وتوثيق المعلومات ومعالجتها

٥٨ - إن جمع المعلومات والبيانات والوثائق ذات الصلة بالحوادث والحركات والمواد الدعائية أمر ضروري لا بد منه للتصدي للمشاكل الراهنة وتفاذي حدوث الكوارث الطويلة الأمد. وعلى غرار نظم الإنذار المبكر التي تستشرف الكوارث المرتبطة بالأحوال الجوية التي ثبتت الحاجة إليها، لا بد أيضا من استحداث نظام رصد للكشف عن التزايدات العرقية والإثنية والدينية التي تحمل بذور الانفجار. وباستطاعة نظم الإنذار المبكر الكشف عن كيفية تطور العنف بين مختلف المجموعات من خلال تسجيل الحوادث التي تقع لأسباب عنصرية أو انتشار المؤلفات التي تحض على الحقد أو تحث على تعبئة الحشود لأغراض الحرب.

٥٩ - وينبغي للمؤسسات المستقلة والمتكاملة والمتعاونة كالمكاتب الإحصائية والجامعات والمدارس والجماعات المحلية والهيئات القانونية والمنظمات الدولية ومراكز البحث أن تتولى مهمة جمع ومعالجة المعلومات المتعلقة بحالات العنف والتمييز وانتهاكات حقوق

الأفراد والجماعات. ويجب أن تقوم المنظمات العاملة على كل من الصعيد الوطني والإقليمي والدولي برصد المعلومات ومعالجتها وتعميمها على الهيئات المسؤولة عن رسم السياسات وعلى عامة الناس. وثمة إدراك واسع النطاق اليوم أن عمليات التقتيل والإبادة الجماعية التي سُمح بارتكابها في رواندا والبلقان وغيرهما من المناطق كان يمكن تفاديها لو كانت تتوافر أنظمة لجمع المعلومات ونشرها تتولى إنذار الرأي العالمي بها. ولا بد من ترسيخ تدابير الوقاية الرئيسية المتمثلة في اعتماد مبادئ ومعايير عالمية، ورصد الحالة السائدة، وتسجيل الحوادث والوقائع والاتجاهات، وجمع المعلومات ومعالجتها وتعميمها على جميع من يهمهم الأمر.

دال - وضع استراتيجية فكرية وأخلاقية لمكافحة العنصرية والتمييز العنصري وكره الأجانب وما يتصل بذلك من تعصب

٦٠ - يتطلب القضاء على العنصرية تخطي الاستراتيجيات السياسية والقانونية الأساسية. فالعنصرية ظاهرة تشبه جبل الجليد البارز منها هو تجلياتها ومظاهرها، والمخفي منها هو أسبابها العميقة الجذور. وتمتد جذور العنصرية عميقة في المعتقدات ونظم القيم والتقاليد والتصورات والأحاسيس الفردية والجماعية، أي بعبارة أخرى في الثقافة أجمع. وثقافة التمييز ليست شيئاً مجهولاً ينشأ من عدم، بل هي بنية قديمة ومعقد شيد عبر الزمان والمكان، وقام على أسس فكرية و "علمية"، ويتخذ شكله من خلال التعليم وتكوين الصورة والهوية. ومن ثم تقتضي مكافحته سبر أغواره وفك أجزائه وفهم عملياته وآلياته ولغته وخطابه. وضرورة الإسراع في اعتماد استراتيجية لمكافحة التمييز يسوغها رسوخ العنصرية كواقع من وقائع الحياة اليومية والتصورات والأفكار السلبية المتأصلة لدى بعض الجماعات في دول اعتمدت منذ فترة استراتيجيات سياسية وقانونية متطورة لمكافحة آثار التحامل القائم على العرق.

٦١ - في هذا السياق، يتعين على الدول أن تضع على الصعيدين المحلي والوطني برامج للتوعية والتثقيف في مجالي التسامح والتنوع ومناهضة العنف والاستبعاد. ويتعين النظر بصورة خاصة في نشر خطابات التسامح عبر المجالات والكتب المصورة والألعاب والأفلام وغير ذلك من الوسائل المنتشرة بكثافة في أوساط الشباب.

هاء - رفع الأحزاب السياسية الديمقراطية مستوى اليقظة بحيث لا يتحول الخطاب اليميني المتطرف القائم على العنصرية وكره الأجانب إلى أمر عادي

٦٢ - يعود تصاعد العنصرية وكرهية الأجانب في عدة قارات ودول إلى قدرة أحزاب اليمين المتطرف على فرض أفكارها القومية والعنصرية والمعادية للأجانب في الساحة السياسية الوطنية بحجة حماية عمل المواطنين الأصليين ومكافحة الهجرة. وتقوم أحزاب سياسية كثيرة، بغية الفوز بالانتخابات، بالدفاع عن هذه الأفكار والسياسات. والتعمق في دراسة النقاشات السياسية الدائرة في عدة دول، لا سيما في أوروبا، يبين بما لا يترك مجالاً للشك تغلغل آراء اليمين المتطرف القائمة على كراهية الأجانب والتمييز تغلغلاً مستمراً وقوياً في برامج الأحزاب الديمقراطية التقليدية، اليميني منها واليساري. ويكشف المناخ السائد منذ أحداث ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ عن عمق تأثير هذه الآراء، نظراً لما يضيفه العلماء والمفكرون من شرعية فكرية وإيديولوجية عليها. فنظرية "صدام الحضارات" المحتوم تشق طريقها، لكن بتؤدة، لكن بثبات لتصبح مرجعاً إيديولوجياً يحتكم إليه الزعماء السياسيون.

الحواشي

(١) Neil MacMaster, *Racism in Europe 1870-2000*, Review, What you need to know about web site, (١) .www.About.com.

(٢) المرجع نفسه..

(٣) Josephine Ocloo, "Racism in Europe, A rising Tide", *Social Work in Europe*, vol. 8, No. 2, pg 45 to 49.

(٤) Theodore H. von Laue, *The World Revolution of Westernization: The Twentieth Century in Global Perspective*, New York and Oxford, Oxford University Press, 1987, pg. 342.

(٥) Commission national consultative des droits de l'homme (CNCDH) *la lute contre le racisms et la xénophobie*, Rapport d'activité 2003, Paris, La documentation française, 2004.

(٦) Federal Office for the Protection of the Constitution, 2004 annual report.

(٧) Federal Ministry of the Interior, <http://www.eng.bmi.bund.de>.

(٨) <http://www.bmfsj.aktiv-gegen-hass.de>.

(٩) European Commission against Racism and Intolerance (ECRI) of the Council of Europe, second report on .Germany adopted on 5 December 2003.

(١٠) المرجع نفسه.

(١١) November 9th Society, <http://www.9s.org>.

(١٢) Warren Hoge, "Britain's Nonwhites Feel Un-British, Report Says", *The New York Times*, 4 April 2002.

- European Commission against Racism and Intolerance, Second Report on Austria, adopted on 16 June (١٣)
2000.
- Institute of Race Relations, <http://www.irr.org.uk/europe/index.html>. (١٤)
- Peter Finn, "A Turn from Tolerance: An Immigrant Movement in Europe Reflects Post-September 11 View
of Muslims", *The Washington Post*, 29 March 2002. (١٥)
- Helle Dale, "Denmark's immigration crackdown: Copenhagen no longer a Mecca", *The Washington Times*, (١٦)
31 July 2002.
- Dutch Monitoring Centre on Racism and Xenophobia, *Racist violence and violence incited by the extreme
right, 2000 and 2001*, September 2002. (١٧)
- European Monitoring Centre on Racism and Xenophobia (EUMC), annual report 2002. (١٨)
- Dutch Monitoring Centre on Racism and Xenophobia, op. cit. (see supra note 17). (١٩)
- "Swiss Sign Pact to Curb the Rise of Political Asylum Requests", *The New York Times*, (٢٠)
19 January 2003.
- "African Students' Harsh Lesson: Racism Is Astir in Russia", *Moscow Journal*, 18 December 2003, (٢١)
www.pipeline.com.
- Amnesty International, *Russian Federation: Brutal killing of human rights defender Nikolai Girenko*, (٢٢)
<http://web.amnesty.org/library/index/ENGEUR460382004>.
- Koen Vlassenroot, "Citizenship, Identity Formation and Conflict in South Kivu: the Case of the Banya
Mulenge", *Review of African Political Economy*, 29 (93/94), September/December 1992. (٢٣)
- On the racist discourse of the elite in Latin America, see "Elite Discourse and Racism in Latin America", (٢٤)
10 November 2002, [http://www.dicourse-in-society.org/Racism%20in%20Latin%
America.htm](http://www.dicourse-in-society.org/Racism%20in%20Latin%20America.htm).
- Anibal Quijano, "Colonialité du pouvoir et démocratie en Amérique Latine", Special edition on *Latin
America and Exclusion*, June 1994, Paris, [http://multitudes.samizdat.net/article.php3?id_
article=856#nb1](http://multitudes.samizdat.net/article.php3?id_article=856#nb1).
- Bernard Lewis, *The Multiple Identities of the Middle East*, New York, Schocken Books, 1998. (٢٦)
- "Jim Crow Laws", created by Martin Luther King, Jr., National Historic Site Interpretive Staff, 5 January (٢٧)
1998, www.nps.gov.
- Paula D. McClain and Joseph Stewart, Jr., *Can we all get along? Racial and Ethnic Minorities in American
Politics*, 2nd ed., Boulder, Colorado, Westview Press, 1998, pp. 14, 15. (٢٨)
- Frank H. Wu, *Yellow; Race in America beyond Black and White*, New York, Basic Books, 2002. (٢٩)
- Jacques Tarnero, *Le racisme*, Éditions Milan, 1995, <http://www.anti-rev.org/textes>. (٣٠)

Susan S. Lang, *Extremist Groups in America*, New York/London, Franklin Watts, 1990, (٣١)
pp. 42-52.

Carol M. Swain, *The New White Nationalism in America: Its Challenge to Integration*, Cambridge/New
York Cambridge University Press, 2002, p. 30.
